

(١)

القيم الإنسانية في سورة الحجرات

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه الكريم : { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا ونبينا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، القائل : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فقد حفل القرآن الكريم بالعديد من الآيات الكريمة التي تؤسس لمكارم الأخلاق، والقيم الراقية ، بل إن هناك سورة كاملة جاءت مؤسسة لمجتمع إنساني راقٍ ، كسورة الحجرات التي أرست مجموعة من القيم والأخلاق ، منها : **التبني والتثبيت** في الأمور كلها ، وخاصة إذا كان هذا الأمر يتعلق بشئون الناس ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ } .

فالإسلام يبني كل شيء على اليقين ، فهذا سيدنا سليمان (عليه السلام) حينما جاءه الهدى بخبر الذين يعبدون الشمس من دون الله ، ووصفه بالنبأ اليقين ، لم يأخذ كلامه مُسَلِّمًا ، وإنما تثبت ، وتبين كما حكى القرآن ذلك على لسانه ، قال تعالى : { قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } ، ويقول : (صلى الله عليه وسلم) : (كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ) ، قال الإمام النَّوَوِيُّ (رحمه الله) : فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْمَعُ فِي الْعَادَةِ الصُّدُقَ وَالْكَذِبَ ، فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ ، فَقَدْ كَذَبَ لِإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ ، ولما دخل رجل على سيدنا عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) ، وذكر له عن رجل شيئًا ، قال له : إن شئت نظرنا في أمرك ؛ فإن كنت كاذبًا ، فأنت من أهل هذه الآية : { إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } ، وإن كنت صادقًا ، فأنت

(٢)

من أهل هذه الآية : { هَمَّازٌ مَشَاءٌ يَنْمِيهِ } ، وإن شئت عفونا عنك ، فقال : العفو يا أمير المؤمنين ، لا أعود إليه . فلو حرص كل منا على الثبوت والتبين قبل إصدار الأحكام ، أو قبل بث ونشر كل ما يصل إليه ، لفقدت الإشاعة أثرها ، ولأحجم مروجو الإشاعات عن نشرها بين الناس .

ومنها : البعد عن الغيبة ، يقول تعالى : { وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } ، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، قال : (أَتَدْرُونَ مَا الْغَيْبَةُ؟) ، قالوا : (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) ، قال : (ذَكَرَكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ) ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال : (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته ، وإن لم يكن فيه فقد بهتته) ، وما أقدم الإنسان على الغيبة إلا لانشغاله بعيوب الناس عن عيوب نفسه ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (يُبْصِرُ أَحَدُكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ ، وَيَنْسَى الْجِدْعَ فِي عَيْنِهِ) .

بل إن الإنسان مطالب بأن يرد عن عرض أخيه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ ، رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

ومنها : اجتناب اللمز ، يقول تعالى : { وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ } ، أي ؛ لا يعب بعضكم على بعض ، ويكون اللمز : بالقول ، والهمز بالفعل ، وقد نهى القرآن الكريم عنهما ، يقول تعالى : { وَيَلُ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُْمَزَةٌ } ، وهذا تحذير من همز ولمز الناس ، ووعيد بهلاك شديد لمن يقع في هذا ، وعن أبي مسعود (رضي الله عنه) ، قال : (لَمَّا أُمرْنَا بِالصَّدَقَةِ ، كُنَّا نَتَحَامَلُ ، فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرِ مِنْهُ ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ : إِنَّ اللَّهَ لَعَنِيُّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا ، وَمَا فَعَلَ هَذَا الْآخِرُ إِلَّا رِيَاءً ، فَزَلَّتْ :

(٣)

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .

ومنها: عدم السخرية من الناس ، فالمؤمن الحق لا يسخر ، يقول تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا} ، فقد نهانا ديننا عن كل ما يؤذي الآخرين ، فمن صفات المسلم ألا يكون مؤذيا لأحد ، ولا يأتي منه إلا الخير للناس ، ونفع الإنسانية .

ولقد كان (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن كل ما يؤذي المشاعر قولاً ، أو فعلاً ، أو إشارة ، فكان (صلى الله عليه وسلم) يبث في الإنسان ما يرفع شأنه وفضله في أعين الناس ، فعن أم موسى ، قالت: ذُكِرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عِنْدَ عَلِيٍّ ، فَذَكَرَ مِنْ فَضْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ ارْتَقَىٰ مَرَّةً شَجَرَةً ، أَرَادَ أَنْ يَجْتَنِيَ لِأَصْحَابِهِ ، فَضَحِكَ أَصْحَابُهُ مِنْ دِقَّةِ سَاقِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (مَا تَضْحَكُونَ؟ فَهَلْهُوَ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَحَدٍ) .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم .



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ؛ سيدنا محمد ، وآله ، وصحبه ، والتابعين .

إخوة الإسلام :

إن من أعظم القيم التي دعت إليها سورة الحجرات : **إعلاء مبدأ الأخوة والإصلاح بين الناس** ، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى : {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ، فالإصلاح من أعظم القيم التي دعت إليها السورة الكريمة ، والتي يدعو إليها ديننا الحنيف الذي يؤسس لمجتمع

(٤)

إنساني متماسك متسامح ، ويعمل على إرساء قيمة العيش المشترك في جو من الألفة والتقارب ، بعيدا عن التنازع ، وهو علاج لكل مواطن النزاع والخلاف .

ففي إطار الأسرة يدعونا القرآن الكريم إذا ما وقع خلاف بين الزوجين ، ولم يتمكن من معالجته إلى إرسال من يتوسم فيه الصلاح من أهلها للإصلاح بينهما ، يقول تعالى : {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} .

وتتمد هذه الروح الإصلاحية إلى المجتمع ليكون متصالحًا ، حيث يقول الحق سبحانه : {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} .

وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) جزاء الإصلاح ، وأثر فساد ذات البين في قوله (صلى الله عليه وسلم) : (أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِأَفْضَلِ دَرَجَةٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟) ، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ ، وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ ، فَلَا أَقُولُ تُحْلِقُ الشَّعْرَ ، وَلَكِنْ تُحْلِقُ الدِّينَ) .

فالمؤمن الحقيقي يجعل من الإصلاح منهج حياة ، فحيث نجده نجد الخير ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ مِّنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ ، مَعَالِيْقَ لِلشَّرِّ ، وَإِنَّ مِّنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ ، مَعَالِيْقَ لِلْخَيْرِ ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ) .

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق ، إنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنا سيئها ، إنه لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، واحفظ مصرنا ، وسائر بلاد العالمين .